# امبراطور المانيا والحرب

## (٢)

### صور الامبراطور

كان الامبراطور يرسل اليَّ صورهُ وصور غيره او يجلبها معهُ الى محل عيادتي . ففي يوم ذكرى مئة سنة على وفاة فردريك الكبير اعطاني صورة هذا الملك. وفي وقت آخر اعطاني صورتهُ هو تحفةً اسرتهُ وكللهُ . وذات يوم جاءني بصورة كبيرة تذكاراً ليوبيلهِ الفضي وهي تمثلهُ هو والامبراطورة تكتنفهما سحابة في جوّ برلين . ولم ادرِ معنى هذه الصورة ولكنني اذكر ان امّا وابنها الصغير دخلا يوماً الغرفة التي كانت الصورة معلقة فيها فلما رأى ابنها الصورة صاح « انظري يا اماه الى الامبراطور في السماء »

وكان يحسب ان كارت بوستة يمضيها بخطهِ من أثمن الهدايا التي تُهدى الى الناس . لانهُ اذا اهدى الى احد قطعة من الحلي او مبلغاً من المال فقد يزيّدهُ في ذلك غنىً يهدي حلية اكرم من حليتهِ او مبلغاً اعظم من المبلغ الذي اعطاهُ ولكن ليس في الارض ما ينوق في قيمتهِ ورقة عليها اسمهُ بخط يدهِ . وعلى هذه القاعدة وهذا المبدإ كان يأدب المآدب ويصنع الولائم الملكية حتى لقد شرع وذاع بين اكابر الالمان قولهم يجب على من يدعى الى ولائم الامبراطور ان يملأ جوفهُ في بيتهِ قبل الذهاب اليها . واتفق ذات مرة ان ذكرت امامهُ ما يقال عن ولائمهِ فلم يعبأ بذلك بل قال « لا بأس بهذه الشهرة فان الالمان مفرطو النسن ومعظمهم مفرطو الاكل »

وبقي الامبراطور زماناً طويلاً بعد شيوع الاتوموبيل يركب الجياد والمركبات في الاسفار العادية وسكة الحديد في الاسفار الطويلة ولم يكن يدفع اجرة ما . ولكن لما سنّ مجلس النواب قانوناً يقضي على الامبراطور واعضاء اسرتهِ بدفع اجرة سكة الحديد اقتنى الامبراطور الاتوموبيل . قال لي مرة انهم اخذوا منهُ اجرة قطار اكتراهُ للقنص ١٩ الف مارك (٥٥٠ جنيه) وان لا قبل لهُ بدفع هذا المبلغ لمثل هذا العمل . نعم ان مركبات الاتوموبيل كثيرة النفقة ولكن نفقتها اقل من هذا المبلغ

## هدية كارنجي

يفخر الامبراطور بمعارفه التاريخية وذلك تراه لا يعنى بآراء الساسة الذين لا يعرفون التاريخ معرفته له . كنا ذات يوم نتحدث عن ارباب الملايين من الاميركيين على اثر تبرع كارنجي لالمانيا بمبلغ ربع مليون جنيه في سبيل ترويج السلام العام فقال « لا ريب ان كارنجي شيخ طيب القلب حسن النية ولكنه يجهل تاريخ العالمين كما اجهل فقد تبرع له بخمسة ملايين مارك لسلام الدنيا فقبلناها ضناً ولكن لا نرى مندوحة من الاستمرار على خطتنا خطة ابقاء جيوشنا واساطيلنا على اتم ما يكون من القوة »

وليس تحت موضوع حتى الامبراطور بدرسه الا ويحسب ان قوله فيه هو القول الفصل . فهو يدعي انه اول في جمع الآثار القديمة لا ثاني له . ولطالما انكر على اغنياء الاميركيين شراء الآثار القديمة الغالية التي يمكنهم مالهم من شرائها ولكن جعلهم للتاريخ وانه يرثهم في ذلك يتمنالهم ان يحبوا هذه العاديات مثله ويقدروها قدرها

## الامبراطور والفنون الجميلة

لا ادل على ذوق الامبراطور في الفنون الجميلة من الآثار والانصاب التي اقامها لاجداده ومشيريهم في شارع « سيجاج ألي » فانها موضع سخرية اهل الفنون الجميلة في العالم طرّاً . ولطالما عبث بها المتفرجون عبثاً وشوهوا منها حتى اضطرت الحكومة ان تقيم الحراس عليها

والظاهر ان الحقيقة هي اسمى ما يرمي اليه الامبراطور في الفنون الخيالية كالتمثيل مثلاً . فانه قد ترجم مأساة سوفوكليل من اليونانية القديمة . وسمل العدة الى المتحف البريطاني في لندن فدرسوا ازياء ذلك العهد وسائر عادات هذه لاقتباسها في الرواية عند تمثيلها فكانت كل اداة استعملت الممثلون من الملابس وازرارها والآنية والاسلحة وسائر ما هنالك صورة طبق الاصل . وبذل العناية جهداً خاصاً في اقتباس الطريقة التي كان القدماء يحرقون بها موتاهم فجمعت على المسرح عرمة من الحطب ليحرق الملك عليها

وقد مثلت هذه الرواية غير مرة في اوبرا برلين برامش ابو الامبراطور

تذكّر حضور التمثيل. وثم زار الملك ادورد برلين شهد تمثيل هذه الرواية فسألت الامبراطور عما اذا كان الملك ادورد قد سرّ بتمثيلها فاندفع يقول وهو يكاد يرقص فرحاً من حسن وقع الرواية في نفس خاله الملك « لقد بلغ من رعب الملك ادورد عند رؤية الجنازة وعزمة الخطب تحترق ان ظنّ ان النار تشبّ في جوانب الاوبرا كلها »

## الامبراطور والاغنياء

تتهم الامبراطور الاميركيين حرارة بعبادة الدولار والانكليز بخنوعهم لمامون الله المال ولكنه ابدى في السنوات الاخيرة من الاحتفاء بالاغنياء ما لا يتفق مع تظاهره بكره المال . فان اغنى رجل في برلين ومن اغنى الالمان كلهم ملك الفحم وهو يهوديّ اسمهُ فريدلندر . وقد زاد الامبراطور الى مضاف النبلاء فصار اسمهُ فون فريدلندر فولد . ورقى ايضاً يهودياً آخر اسمهُ شوانبغ مدير بنك كبير

وبعد ما عين لشمان سفيراً لاميركا في المانيا زار الامبراطور ذات يوم وقال « ان ابنة سفيركم اجمل فتاة حضرت استقبالاتنا منذ ايام كثيرة . وبين اركان حربي نحو ستة ضباط يتشوقون الى الاقتران بها . تعلم ما اذا كانت عائلة لشمان ذات مال » وقال لي يوماً ان الباخرة « اميركا » من بواخر شركة « همبرج اميركا » تنقل في كل سفرة من اسفارها من نيويورك الى همبرج ٣٠ الف جنيه من جيوب الاميركيين الى جيوب الالمان . قال هذا بلهجة الفخور واضاف اليه قولهُ « صدقني اننا على غاية الجدّ من الحصول على بعض اموالكم الاميركية »

## تفننهُ

اما عن تفننهِ وتنوعهِ بكل موضوع فعندي الخبر اليقين . ففي اثناء احاديث كنا نتنقل من موضوع الى موضوع كيفما اتفق وكان يبدي في كل موضوع علماً مدهشاً . ولست من الغرور بحيث اقول انهُ كان يستمدّ لهذه المواضيع من قبل ويحشو نفسهُ بالمعلومات لكنهُ كان ذلك ليدهشني بمعلوماتهِ وسعة اطلاعهِ

وبلغ من صراحتهِ انهُ لا يخفي على محدثهِ شيئاً من دقائق كل موضوع دار الحديث عليهِ بسبب هذه الصراحة تفتهُ بكلّ من عرفهم تمام المعرفة . ولا ريب ان شهاداتهِ اقل من شهادات سائر الذين عرفتهم وكانوا في مركز مثل مركزهِ معرّض

فيه لان يكون كثير الخصوم والاعداء . ويخيل الى عارفيه انهُ يثق بكل احد وهذه الثقة هي التي تحل عقدة لسانهِ وتجعلهُ فيصاً في الكلام الى حدٍّ يجاوز ما تقتضي بهِ الفطنة وتوجبهُ الحكمة

## هو والخمر

اخبرني ذات يوم ان قد مضت عليهِ سنين كثيرة لم يشرب فيها خمراً اقل من شمبانيا التفاح وهي خمر لا تحول فيها كانت تسمانة خمسيناً . وقد اسرَّ اليَّ بعض مقربيهِ سبب امتناعهِ عن شرب المسكر قال : كان الامبراطور في شبابهِ مدمناً للسكر . وفي بعض الاحيان كان يفرط في الشرب فيدب دبيب الخمر الى موضع اسراره ولا يقف دونهُ . وذات يوم كان يتنزه في مياه زوج على ظهر يختهِ وقد شرب حتى سكر فامر ربان اليخت بان يجري بهِ في طريق غير مأمون . فحار الربان في امرهِ فاما ان يعصي الامبراطور فيستهدف لغيظهِ واما ان يقود اليخت الى حتفهِ بمن عليهِ . ولكنهُ اختار الامر الاول فعصى امر الامبراطور وقاد اليخت الى البرّ ولم يكد يبلغهُ حتى جاء ببيكات وركبها منحدراً بها من قمة رابية هناك الى هاوية عميقة فتتل . فلما عي الى الامبراطور خبر موتهِ على هذه الكيفية المشومة تاب عن جميع اصناف المسكر

## مجونهُ

حدثني يوماً قال : شهدت مؤتمراً عقدهُ ممثلو جميع الدول لانتخاب ملك لالبانيا بعد حرب البلقان . فقال قوم يجب ان يكون ملك البانيا كاثوليكياً . وقال قوم لا بل يجب ان يكون من اروم الكاثوليك . وقال غيرهم يجب ان يكون مسلماً . ولما ظهر لي ان اتفاقهم مستحيل خشيت المناقشة فقلت « اذا كان ملك البانيا لا يصح ان يكون بروتستنتياً ولا من الروم الكاثوليك ولا من اليهوديين فلم لا تختارونهُ يهودياً وتسمونهُ يعقوب الاول . فانهُ سيذيع بعد ثلاثة اشهر من تملكهِ على كل حال » . ولكن الدول لم تنتخب لذلك المنصب رجلاً يهودياً بل البرنس فيد حرشح الامبراطور . ولم يمض على ارتقائهِ الى السرير شهر او شهران حتى فرَّ من البلاد خوفاً على حياتهِ

واشار في خلال بعض احاديثهِ معي الى مؤامرة الستر روزفلت على الخلافة

من قيادة جيش في فرنسا فقال: اني اتحب بشجاعة الستر روزفلت وشجرته الوطنية. وقد سمعت انهُ الآن في الطريق الى ايطاليا. فياليتنا كنا آخر ما هجونا فيه الى اجل آخر لعلنا كنا نأسره. أليس منظر « تدي » (لقب الستر روزفلت) وقد لبس كامة الغار منظراً مضحكاً »

وبعد سفرة الغواصة دتشلند الى اميركا ووصولها اليها سألتهُ رأيهُ في الامبراطور وكان يفيض بشراً وسروراً فقلت في خلال حديث سمهُ اني عزمت على السفر الى اميركا في الصيف القادم للنظر في مسئلة اسنان الخزف التي اخترعتها. فقال « لا حاجة بك الآن الى السفر يا دايفز فاننا نستطيع ارسال الغواصة دتشلند اليها فتجيئك بشحنة كاملة من هذه الاسنان »

وقال لي مرة « انظر ان تشدّ اسناني جيداً لاستطيع العضّ بها فان هناك كثيرين اشتاق عضهم ». قال هذا وهو يضرب باسنانهِ صريفاً يذكر الذين اراد عضهم بالم شديد. على انهُ كان في وعيده هذا ادنى الى الهزل منهُ الى الجدّ

وكان مرة يكلم المغني المشهور جريسفولد الذي كان يمثل دور الملك في رواية « عايده » فقال لهُ « لقد اتقنت دور تمثيل الملك حتى بت احسبك اعظم مناظريّ خطراً »

## قوة اميركا

قال لي مرة « ليس في فرنسا الآن من الجنود الاميركية سوى ٣٠ الفاً وغواصاتنا كفيلة بان لا يزاد هذا العدد زيادة تذكر هذا اذا سلمنا جدلاً بان الجنود تترك شواطئ اميركا. ولست انكر ان رجالكم يقاتلون في سبيل اميركا لحمايتها من غارة مفاجئة ولكنني لست اعتقد ان كثيرين منهم يغادرونها للحرب خارجها. وعليهِ ارى انها ستكون عاملاً صغيراً جداً في الحرب »

فقلت « ان جلالتكم لا تقدرون قوة اميركا حق قدرها ». فالتفت اليّ مغيظاً وقال والعظرسة بالغة منهُ مبلغها « نحن لا نحفل من قدر احد في العالمين بل نعلم تمام العلم ما نحن صانعون »

ولم يكن يبدي قلقاً ما ولو في احرج الساعات على المانيا. وكل ما هنالك انهُ اذا حرج موقفها كما حدث عند وصول الروس الى جبال كرباتيا في اوائل الحرب يتضاءل هو والاسرة الامبراطورية فلا يعود احد يراهم او يسمع بهم. واذا

استعداد الجند كما في الطوارئ على ايطاليا تجيء اذ ذاك لكل عين فتحدث بها كل لسان وتدر زلة الاذان

لوزيتانيا

ان لم يكن الامبراطور قد امر فعلاً باغراق الباخرة لوزيتانيا فلا ريب عندي انه كان عالماً بالعزم على نسفها وانه وافق عليه . والحادثة التالية تدل على انه كان يستطيع منع اغراقها لو اراد ذلك

زرت اميركا سنة ١٩١٥ وعدت الى برلين في خريفها وكان الامبراطور مشغوفاً كل الاهتمام بتعليم شعور اميركا نحو الحرب . فقلت له ان الرأي في اميركا كان منقسماً قبل اغراق الباخرة لوزيتانيا فثلث يميل الى الحلفاء كل الميل وثلث ينصر الالمان جهرة وثلث يلزم الحياد التامّ . ولكن بعد غرق الباخرة المذكورة باتت البلاد كلها حانقة للالمانيا . فكان جوابه ما يأتي :

« ربما لو عرف قائد الغواصة التي اغرقت الباخرة لوزيتانيا انه كان فيها ما كان من النساء والاولاد ما اغرقها ولكن كان همه منجهاً في الاكثر الى الحملة آلاف طن من الذخيرة التي كانت فيها وقد اعدت لقتل شعبي »

وهو يعني انه لو كان قائد الغواصة مأموراً باغراق الباخرة وعصى هذا الامر ما بقي امامه سوى الانتحار . واذا كان يعني ان القائد غرق الباخرة من تلقاء نفسه او بلا امر خاص من رؤسائه فان هذا لا ينافي كون الامبراطور كان قادراً على منع الكارثة ولم يفعل

الامبراطور وكارنجي والسلم

في سنة ١٩١٣ شهدت افتتاح قصر السلام في لاهاي وسمعت خطبة كارنجي التي قال فيها ان الامبراطور عثرة في سبيل سلام العالمين . ولما عدت الى برلين ذكرت ذلك امامه فقال « نعم انا عالم بالذي قال كارنجي تماماً في لاهاي ولكني استهجر مقالته فقد سماني سيد الحرب وقال اني عثرة في سبيل السلام فليعد لنظر على تاريخي يجد انه مضت عليّ خمس وعشرون سنة منذ جلست على السرير لم يتكدر فيها صفاء السلام . لا — ان جيشي واسطولي الكبيرين هما افضل الوسائل لحفظ سلام العالم ذلك لان الامم تتردد طويلاً ( وكما قال تاكيتوس ) قبل الاقدام على حربنا »

ذ ووزير الامبراطورية

بعد عودتي الى برلين بيومين او ثلاثة جاءتني رسالة تلفونية من قصر هلنصيج ( وزير الامبراطورية حينئذٍ ) يقول فيها ان الامبراطور اخبره تلفونياً من السفر وانهُ ( اي الوزير ) يروم مقابلتي في قصره . فتعمدتهُ وانا حائر لا ادري ما يريد مني . فلما اجتمعت بهِ قال « اخبرني الامبراطور يا دكتور بزيارتك الاخيرة لاميركا وانهُ اراد ان اسألك بعض الاسئلة » . ثم بدهني باسئلة شتى تركتني في اشد دهشة منها « كيف احوال اميركا . هل ممكنتك الفرصة من تجميع عود النياسة فيها . من تراهُ ينتخب لرآسة الجمهورية . اتظنّ ان الاميركيين يعارضون في السلام لانهُ يقضي على الفرص التي تسنح لهم لجمع الاموال من الحرب . هل بلغ من طمع الاميركيين في المال انهم باقرا ميالين الى اطالة الحرب حبًّا بالربح الذي يجنون منها »

فقلت لا — انكم مخطئون اذا كنتم تظنون ان قومي يريدون اطالة الحرب لجني الربح منها بل معظم البلاد بالضد من ذلك مشوقة الى السلام

فقال لا تنسَ ان قومك يربحون كثيراً من هذه الحرب وهم يغتنون شيئاً فشيئاً . ولا يمضي الاّ القليل حتى يصبح ذهب العالم كلهُ في ايديهم . فنهاية الحرب نهاية فرص الربح الهائل الذي يجنونهُ »

فقلت قد يكون هذا القول صحيحاً . ولكن قومي يفتكرون لحسن الحظ في بركات السلام والحرية اكثر من افتكارهم في الحرب والمكاسب . وكلما اسرع عقد السلم على قاعدة تضمن دوامهُ كان ذلك افضل لنا واقرّ لعيوننا

فتحول عن هذا الموضوع ثم سألني كيف عوملت في اميركا وانت قادمها من المانيا

فقلت ظهر الفرق فقط عند وصولي انها اي انهم فتشوا امتعتي تفتيشاً دقيقاً في الميناء الذي بلغتهُ مما لم يحدث لي مثلهُ قبلا حتى اقتنعوا بأني لم اكن جاسوساً . فلما فرغوا من تفتيشي سررت بشعوري ان بلادي مدركة تمام الادراك وجوب اتخاذ التدابير الشديدة لمثل هذه الحالة

فقال امام ولسن الآن اعظم فرصة عرضت لانسان ليجعل اسمهُ خالداً — وهي فرصة اعادة السلام الى العالم . ونحن نشعر الآن انهُ ليس صديقنا بل صديق الحلفاء

ولكنه قد يرى مع ذلك انهُ اذا طالت هذه الحرب الى حين غير مسمى انتهت الى خراب جميع الامم المشتركة فيها ارى من المحتمل دخول اميركا في هذه الحرب

فقلت هذا يتوقف على الحوادث. اما انا فلا اعتقد ان بلادي تميل الى الحرب ولكني موقن ان لا شيء في العالم يحمل دون اشتراكنا فيها اذا لم تحترم حقوقنا كدولة محايدة

فقال لا اكتمك اني لا احب لهجة الخطب التي يخطبها هيوز (مرشح الجمهوريين للرآسة وند الدكتور ولسن) . هل سمعتهُ او سمعت ولسن

فقلت كلاَّ . ولكني قرأت خطبهما في الصحف

فقال من استنتجت مما قرأت ان الامة الاميركية تريد عود الملاء الى اوربا او استمرار الحرب لاستدرار الربح منها

فقلت انا واثق بان بلادي لا تؤثر فيها العوامل التي اشرتم اليها في اسئلتكم بل ترجح بالحزم الصادق الصحيح

## غرض الوزير

لم يذكر الوزير في حديثهِ هذا حرب الغواصات . فما بدأت حرب الغواصات اشدَّها بعد هذا الحديث ببضعة اشهر ادركت حينئذٍ غرض الوزير من اسئلتهِ . فانهُ اراد ان يعلم مني اي الرجلين اقرب الى الانتخاب للرآسة هيوز ام ولسن. وايهما اقل خطراً على المانيا اذا شددت في حرب الغواصات . وكان الانتخاب حينئذٍ قد قارب الانتهاء ولم يكن لالمانيا مناص من ابلاغ سفيرها الاميركي اي الرجلين تفضل رآسته . وكان الامبراطور يعتقد ان في يدهِ ميزان الانتخاب يرجح الكفة التي يشاؤها باصوات الالمان الاميركيين ولم يكن يعلم في اية الكفتين يضع اصواتهم

ولست اعلم ما الذي استنتج الوزير من اجوبتي. وانما اعلم انهُ قابل الامبراطور في اليوم التالي مقابلة دامت ساعة ونصف ساعة وان بعض الحديث دار على حديثي مع الوزير. ودليلي على ذلك ان الامبراطور زارني في اليوم التالي لاجتماعهِ بالوزير وقال بلهجة الساخر « اذاً احسنوا معاملتك في اميركا عند رجوعك اليها » مشيراً بذلك الى مبالغتهم في تفتيشي كما ورد في حديثي مع الوزير وقد كنت ذكرت ذلك امام احد قبله